

الاستعمال: دراسة في المصطلح

Usage: study in the term

د. منى برهومي*

تاريخ الاستلام: 2021-08-07 تاريخ القبول: 2021-10-03

ملخص: ارتبط الكلام مع القدامى والمحدثين بالمتكلم، فهو كلام لا يدلّ بنفسه بل يدلّ على ما يريده المتكلم. ويهدف البحث إلى تبيان علاقة المتكلم بالكلام الذي هو فعل فرديّ صادر عن إرادة المتكلم، وفيه يمكن التمييز بين التوليفات التي بواسطتها تستعمل الذات المتكلمة الرمز اللغوي من أجل التعبير عن فكرتها. وعليه ولدت التداولية التي هي علم دراسة استعمال اللغة في سياق ومقام معيّنين وضمن هذا الإطار المعرفي يتنزل البحث المعنون ب: الاستعمال: دراسة في المصطلح، والذي سيبحث في الإشكالية الآتية: على أي معيار يُحدّد مفهوم الاستعمال؟ هل يُحدّد بناء على ما تواضع عليه الناس؟ وما اصطلاح عليه؟ أم يُحدّد بناء على البنية اللغوية وعلاقتها بسياقها وقواعد التخاطب والعمليات الذهنية المتحكمّة في الإنتاج والفهم؟ سيتضمّن البحث العناصر الآتية: ماهية الاستعمال وعلاقته بالوضع والاستخدام والمعيار.

توصّل البحث إلى أنّ عملية الفهم ترتبط بمقاصد المتخاطبين من خلال فعل الاستعمال الذي هو الاستثمار أي تسخير اللغة بوصفها مادة خاما لتوليد المعنى.

الكلمات المفتاحية: الاستعمال، الوضع، الاستخدام، المعيار.

*جامعة العربي التبسي -تبسة، الجزائر، البريد الإلكتروني: mouna.barhoumi@univ-tebessa.dz (المؤلف المرسل).

Abstract: Speech, with the ancients and moderns, is linked to the speaker, It is does not indicate itself, but rather indicates what the speaker wants. The research aims to clarify the speaker's relationship with speech, which is an individual act of the speaker's will, and in which it is possible to distinguish between the combinations by which the speaking subject uses the linguistic symbol in order to express its idea.

As a result appear the pragmatic, which is the science of studying the use of language in a specific context and place. Within this cognitive framework, the research entitled: Usage: a study of the term, which will discuss the following problem: On what criterion is the concept of use determined? Is it determined based on what people are humbled by? And what is it called? Or is it determined based on the linguistic structure and its relationship to its context, the rules of communication, and the mental processes that control production and understanding? The research will include the following elements: the nature of the use, its relationship to the situation, use and standard.

The research concluded that the process of understanding is related to the intentions of the interlocutors through the verb of use, which is investment, that is, harnessing language as a raw material to generate meaning.

Keywords: Use, Convention, employ, Standard.

مقدمة: "إنَّ الكلام لا يدلّ بنفسه، بل يدلّ على ما يريده المتكلّم". هكذا بنى ابن تيمية تعريفه للكلام الذي هو فعل المتكلّم، والمراد بما يريده المتكلم هو أنّ الكلام فعل فردي صادر عن إرادة المتكلّم، يمكن التمييز فيه بين التّوليفات التي بواسطتها تستعمل الذات المتكلمة الرّمز اللّغوي من أجل التّعبير عن فكرتها الشّخصيّة. وعليه ولدت التّداوليّة (علم الاستعمال اللّغوي) التي تدرس اللغة في حيز الاستعمال متجاوزة حدود الوضع وإن كان يبني عليه، وذلك لأنّ مقاصد المتخاطبين لا يمثلها الوضع اللّغوي المجرد، ولا يمكن الوصول إليها إلّا من خلال فهم اللّغة في سياق الاستعمال المتجدّد بتجدّد مقاصد المتكلّمين، وضمن هذا الإطار المعرفي يتنزّل البحث المعنون ب: الاستعمال: دراسة في المصطلح، والذي سيبحث في الإشكاليّة الآتية: على أي معيار يُحدّد مفهوم الاستعمال؟ هل يُحدّد بناء على ما تواضع عليه النّاس وما

اصطلاح عليه؟ أم يحدّد بناء على البنية اللغوية وعلاقتها بسياقها وقواعد التخاطب والعمليات الذهنية المتحكّمة في الإنتاج والفهم؟ سيتضمّن البحث العناصر الآتية: ماهية الاستعمال، وعلاقته بالوضع والاستخدام والمعيار.

أهداف البحث: وتكمن أهداف البحث في تبيان ماهية الاستعمال من جهة والبحث في علاقته بالمصطلحات التي قد تتباين معه وقد تختلف عنه معتمداً في ذلك على المنهج الاستقرائي من خلال عمليتي الوصف والاستنتاج.

إنّ البحث في المفهوم اللغوي والاصطلاحي للاستعمال Usage يلج بنا في البحث في مفاهيم أخرى قد تتباين وقد تختلف وقد تترادف، ومنها مصطلحات الاستخدام والوضع والمعيار.

1- مفهوم الاستعمال لغة: ارتبط مفهوم الاستعمال لغة بالفعل والعمل والوظيفة والممارسة، وهو مأخوذ من جذر [ع م ل] والعمل مُحَرَكَةٌ: المهنة أيضاً. الفعل (ج) أعمال، ورَعَمَ بعض من أئمة اللغة والأصول أنّ العمل أخصّ من الفعل، بأنّه فعل بنوع مشقة "والعمل كلّ فعل يصدر من الحيوان يقصده فهو أخصّ من الفعل، لأنّ الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد. واستعمل فلان اللبّ إذا بنى به بناءً وأعمل فلان ذهنه في كذا وكذا، إذا دبره بفهم، وأعمل رأيه والله ولسانه واستعمله: عمل به¹. يقوم الاستعمال لغة من خلال ما تقدّم على ثنائية القصدية والبناء، ويرتبط هذان المصطلحان ارتباطاً وثيقاً فلا تتحقّق القصدية إلّا من خلال البناء الذي يعني النظام أو التنظيم في اللغة. كما يرتبطان بطرفين آخرين يكملان العملية التواصلية وهما المتكلّم والمستمع وغاية الأول هي إحداث الأثر في الثّاني من خلال هذا البناء الذي يحمل القصدية. ويعرّف الاستعمال في المعجم الفرنسي بأنّه: "مجموع القواعد والمحظورات «des interdits» النحوية والصوتية والمعجمية التي تميز اللغة التي يستعملها المتكلّمون في زمان ومكان معيّنين"².

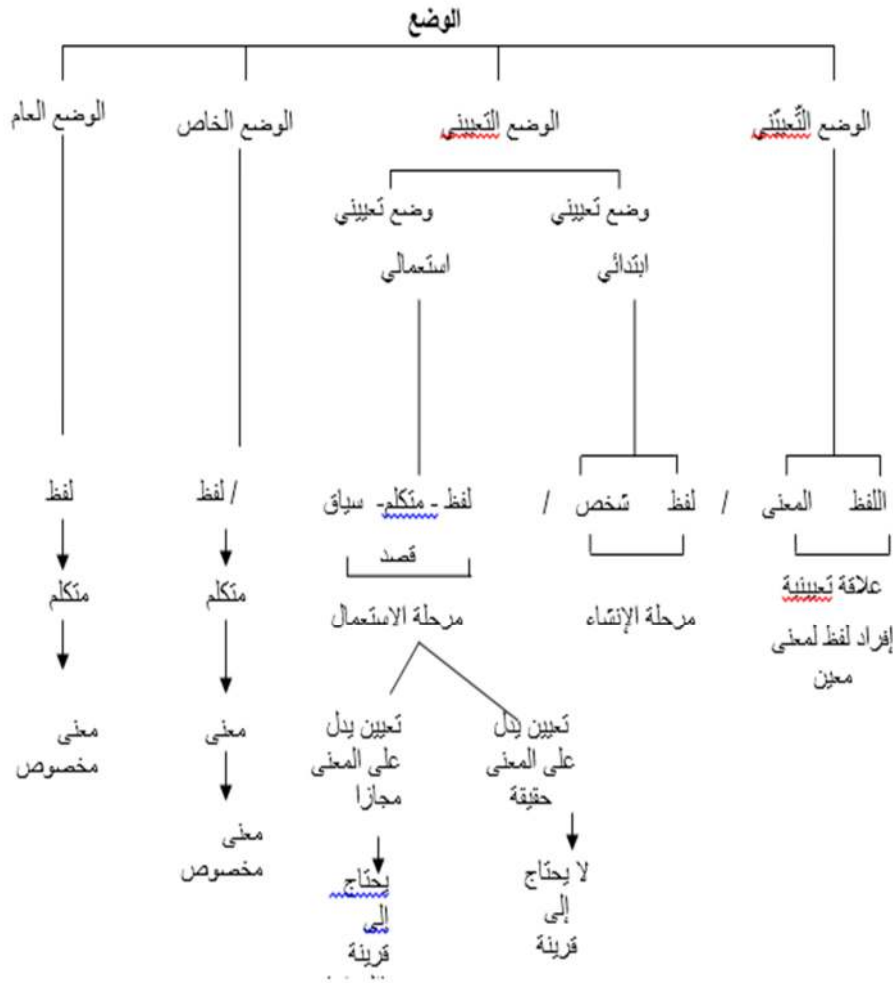
2- الوضع والاستعمال: يرتبط الاستعمال بالوضع، وهنا سنتّقي بالإجابة عن السّؤال: أي جانب من الكلام ينتمي إلى الوضع؟ وأي جانب ينتمي إلى الاستعمال؟ لكن قبل الإجابة عن هذا السّؤال وجب الوقوف على التعريف الاصطلاحي للوضع إذ

يعني الوضع في اللغة: "جعل اللفظ بإزاء المعنى، ويُطْلَقُ في الاصطلاح على تخصيص شيء متى أُطْلِقَ أو أُحِسَّ الشيء الأول فهم منه الشيء الثاني وحقيقته تخصيص لفظٍ بمعنى³ والمراد بالإطلاق: "استعمال اللفظ وإرادة المعنى"⁴ ويرتبط الوضع هنا بالاستعمال الحقيقي للفظ: أي الدّاخلَة الأصليّة له، وهو اللفظ المستعمل في ما وضع له أولاً في اللغة. وقد فصل صاحب معجم مصطلح الأصول في صناعة الوضع، إذ نجد الوضع التّعيني، ويعني: "أن تنشأ الدلالة من الاختصاص، ويسمى بالفعل الحاصل، وهذا الاختصاص من الكثرة في الاستعمال على درجة من الكثرة أنّه تألفه الأذهان بشكل إذا سمع اللفظ ينتقل السّامع فيه إلى المعنى، أي أن يتبادر معنى اللفظ إلى الذّهن مباشرة لكثرة الاستعمال."⁵ يرتبط الوضع التّعيني بتعيين معنى اللفظ بشكل يصبح المعنى واللفظ مألوفين عند السّامع. أمّا النوع الثّاني فهو الوضع التّعيني و"يراد به دلالة الألفاظ على معانيها أصلاً ناشئة عن الجمل والتّخصيص"⁶.

وينقسم هذا الصّنف إلى نوعين:

- (1) وضع تعيني ابتدائي: "وهو التّصريح من الشّخص بإنشاء اللفظ"⁷.
 - (2) وضع تعيني استعمال: "وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له أولاً، وذلك بنصب قرينة تدل على ذكر القصد وأنّه أراد الوضع بالاستعمال"⁸.
- أمّا الوضع الخاص ويعني اصطلاحاً "جعل اللفظ دليلاً على المعنى الموضوع له ولو مجازاً"⁹ ويشرح هيثم هلال ذلك فيقول: "جعل اللفظ متهيئاً لأن يفيد ذكر المعنى عند استعمال المتكلم له على وجه مخصوص"¹⁰. ويُقَابِلُ الوضع الخاص الوضع العام كنوع رابع، ويقصد بالوضع العام: "تخصيص شيء بشيء يذُلُّ عليه كالمقادير أي جعل المقادير دالة على مقدّراتها من مكيل وموزون ومعدود"¹¹.
- إنّ كلا النوعين: الخاص والعام يتعلّق الوضع فيهما بالوضع المتكلم.

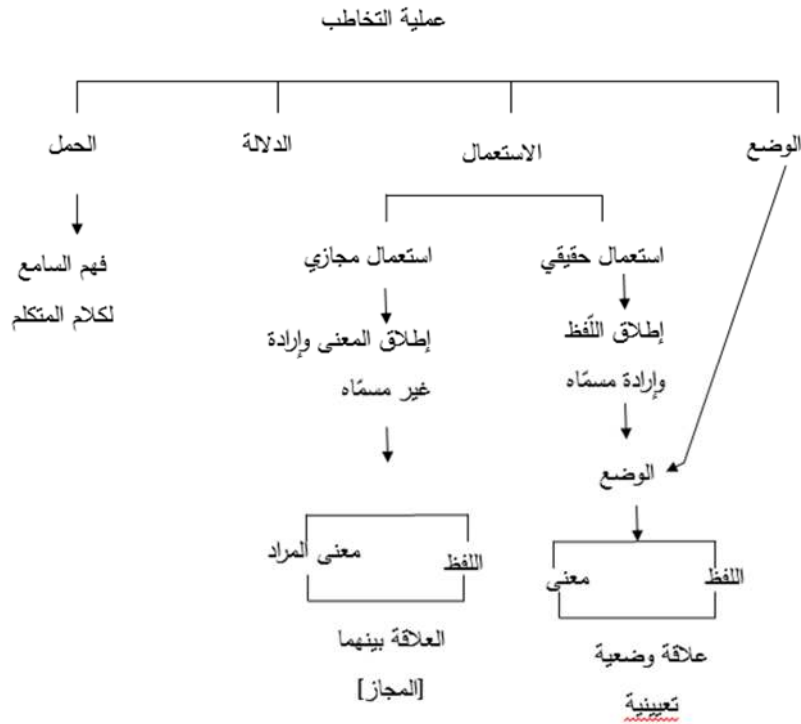
صنافة الوضع



يرتبط الاستعمال بالوع أو بأصل الشيء وتحولاته فكلمة كفر تعني في الوضع خبأ الشيء وجحدّه، أمّا في الاستعمال فدلالته تختلف باختلاف استثمارها والقرآن الكريم هو أحد هذه الاستثمارات. قد تتشابه ثنائية اللغة والكلام بثنائية الوضع والاستعمال. وهو ما أكدّه ويس (B.G.Wiss) إذ لاحظ بوضوح العلاقة الرابطة بين اللغة والوضع، فقال: "اللغة والوضع هنا -كما في مكان آخر- مصطلحان متقاربان،

مَعْرِفَةُ أَحَدِهِمَا بِمَثَابَةِ مَعْرِفَةِ الْآخَرِ¹². وَتَتَضَيَّحُ الْعَلَاقَةُ بَيْنَ اللُّغَةِ وَالْوَضْعِ مِنْ خِلَالِ "مَعْرِفَةِ الْوَضْعِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ مَعْرِفَةَ الْمَعْجَمِ، وَالْعُنَاوَرِ الْقَوَاعِدِيَّةَ بِمَا فِي ذَلِكَ الْمَنَاوِيلِ الصَّرْفِيَّةِ وَالنَّحْوِيَّةِ تَسْتَلْزِمُ مَعْرِفَةَ اللُّغَةِ بِوَصْفِهَا ائْتِلَافًا يَجْمَعُ بَيْنَ الْمَعْجَمِ وَالْقَوَاعِدِ، إِذِ اللُّغَةُ مَا هِيَ إِلَّا اللَّفْظُ الْمَوْضُوعُ"¹³ وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ بِالنَّسْبَةِ لِلْكَلَامِ (السَّوَيْسَرِيِّ) وَالِاسْتِعْمَالِ (Usage) إِذِ يَتَشَابَهُانِ فِي انْتِمَائِهِمَا إِلَى اسْتِخْدَامِ اللُّغَةِ فِي الْمَقَامَاتِ الْفَعْلِيَّةِ¹⁴. وَيَعَدُّ الْوَضْعُ وَالِاسْتِعْمَالُ ائْتِصَافًا مِنَ الْمَكُونَاتِ الْأَسَاسِيَّةِ الْأَرْبَعَةِ لِعَمَلِيَّةِ التَّخَاطُبِ وَأَمَّا الْاِثْنَانِ الْآخَرَانِ فَهُمَا الدَّلَالَةُ وَالْحَمْلُ.

مكونات العملية التخاطبية

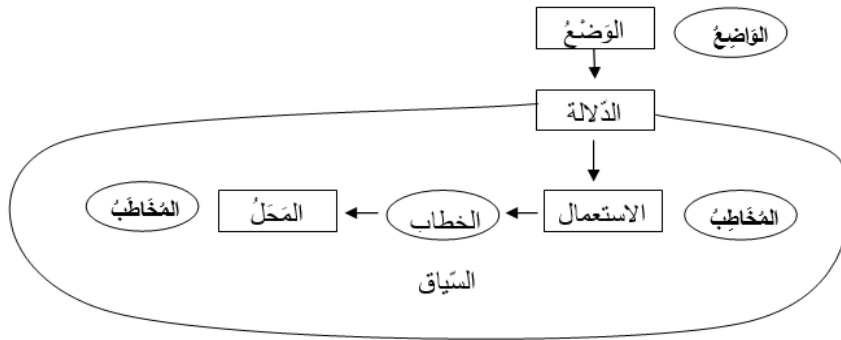


وَيَذَكِّرُ الْقَرَا فِي "أَنَّ الْوَضْعَ سَابِقَ، وَالْحَمْلَ لَاحِقَ، وَالِاسْتِعْمَالَ مُتَوَسِّطَ"، وَقَدْ يَبْدُو الْأَمْرَ هُنَا بَدِيهِيًّا، لِأَنَّ الْإِشْكَالَ لَيْسَ فِي التَّرْتِيبِ بِقَدَرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِفَاعِلِ كُلِّ عُنْصَرٍ مِنْ هَذِهِ الْعُنَاوَرِ الثَّلَاثَةِ. فَفَاعِلُ الْعُنْصَرِ الْوَضْعِ هُوَ الشَّخْصُ الْوَاضِعُ وَفَاعِلُ عُنْصَرِ الْحَمْلِ هُوَ السَّامِعُ، أَمَّا فَاعِلُ الْعُنْصَرِ الْمُتَوَسِّطِ فَهُوَ الْمُسْتَعْمِلُ الَّذِي "يُؤَدِّي الْوُضُوفَةَ

الأكثر أهمية في العملية التخاطبية، لأنه الشخص الذي يُعدُّ مرادفه المحور الذي تدور حوله عملية التخاطب¹⁵. والسؤال الذي ينبغي النظر فيه هو كيف يمكن أن يفهم مراد المتكلم إذا كان فهم المعنى الوضعي لكلام المتكلم ليس دائما كافيا لهذا الغرض؟ والجواب هو أنَّ المُستَعْمِل (المتكلم) لا يلزم نفسه بما تفرضه القواعد الوضعية للغة، بل إنه يعدل المتكلم عن ذلك من أجل بناء المعنى، ويشترط لتحقيق البناء:

- (أ) السياق الذي يمثل قرينة على عدوله عن القواعد الوضعية للغة.
- (ب) كما يُشترط وجود علاقة بين الدلالة الوضعية والمعنى المراد (القصدية) أي "الرسالة التي يبلغها المتكلم، ويقصد أن يكشفها السامع لحدث فيه تأثيرا معينا".¹⁶
- ويقدم صاحب كتاب (علم التخاطب) طريقة أخرى في تحديد الفرق بين المعنى والمراد فالمعنى هو المحتوى الحرفي للكلام¹⁷ أما المراد ف: "يتحدد بالقرينة"¹⁸ وبناء على ذلك فإن المعنى محكوم بالوضع والمراد محكوم بالاستعمال وسنيسط العملية في هذا الشكل¹⁹.

مراحل العملية التخاطبية وفواعلها



تشير الأسهم إلى الترتيب الزمني إذ الوضع السابق والمحل اللاحق ويتوسطهما الاستعمال، وتُمثِّل المستطيلات العناصر الأساسية للعملية التخاطبية أما الدائرة فتُمثِّل الفواعل. وباستثناء الوضع والدلالة الوضعية فإن كل العناصر المؤلفة للعملية التخاطبية تحدث في إطار السياق... وبما أنَّ الوضع سابق، فإن الاستعمال يستلزم الوضع وهذا لا يستلزم الاستعمال.

(3) **الاستعمال بما هو استخدام *emploi***: ما الاستخدام؟ هل يرتبط الاستعمال بالاستخدام؟ أم أنّ الاستخدام مرادف للاستعمال؟ أم يختلف الاستعمال عن الاستخدام؟ إذا كان الاستعمال يعني اصطلاحاً "إطلاق اللفظ وإرادة المعنى"، أي إرادة مُسمّى اللفظ بالكلمة²⁰ وكان الاستعمال اللفظي يعني: "إطلاق اللفظ بإزاء مدلول حقيقي أو مجازاً"²¹، فإنّ الاستخدام يرتبط به ويختلف عنه اصطلاحاً فالاستخدام يراد به "ذكر لفظ مشترك بين معنيين يراد بهما أحدهما، ثم يعاد عليه ضمير أو إشارة لمعناه الآخر"،²² وحتى نفهم ذلك أكثر نستعير من الجرجاني مثلاً:

"إِذَا نَزَلَ [السَّمَاءُ] بِأَرْضِ قَوْمٍ * رَعَيْنَا [هُ] وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا"

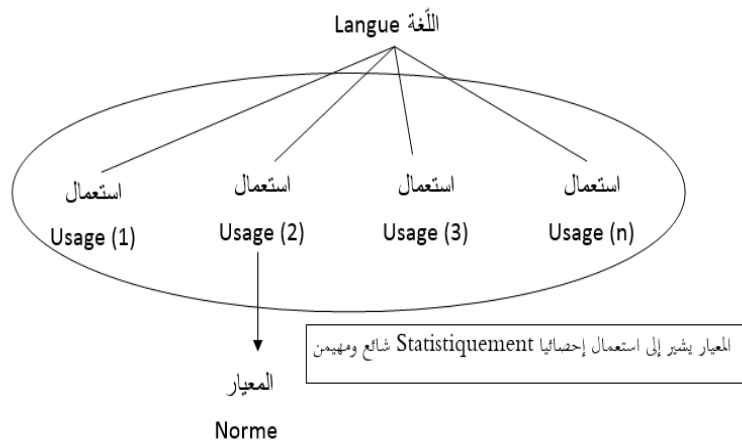
[بحر الوافر]، يَقْصِدُ بِالسَّمَاءِ الْغَيْثَ (المطر)، وبالصَّمِيرِ الرَّاجِعِ إِلَيْهِ مِنْ رَعَيْنَاهُ النَّبْتَ، وَالسَّمَاءُ يُطْلَقُ عَلَيْهَا²³. ويشير لفظ استعمال في إطار لسانيات الاستعمال إلى معنيين أساسيين: إذ قد يكون لفظ استعمال مرادفاً للاستخدام محيلاً بذلك إلى الفعل اللساني بوصفه حدثاً متميزاً يُعبر عنه الإنكليزي بكلمة *use*، وضمن هذا السياق لاحظ دوساتو* أنّ الاستعمال في اللغة الفرنسية فيه النَّبَاس ولا يلبي الحاجة التّداوليّة ف"مصطلح (*usage*) بالفرنسيّة له دلالة وضعيّة، عندما نقول الاستعمال فإنّنا نستحضر الشّكل الوضعي للسلوك"²⁴ بينما ينطوي تحت المصطلح في الصّيغة الإنكليزية ساكسونيّة (*use*) تراث لسانی ومنطق ثري، ويعني (*use*) استعمال اللغة، ولفهم الاستعمال يقول دوساتو: "ينبغي تحليل الاستعمال لذاته، النّماذج عديدة، خصوصاً فيما يتعلق الأمر باللغة كحقل متميّز لاكتشاف الشّكليات الخاصّة بهذه الممارسات"²⁵ ويضيف: "لقد استعاد جلبرت رايل في مقاله" (*usage, use and meaning*) العرف الاستعمال، المعنى "التمييز السّويسري بين اللغة (النّسق) والكلام (الفعل)، لِيُشَبَّهَ اللغة برأس مال والتّعبير (الكلام بعمليات يتيحها من جهة المخزون أو الأسهم، ومن جهة أخرى الأعمال والاستعمالات"²⁶. ويسلط دوساتو في بحثه على استعمال اللغة التي تعتمد على إشكاليّة فعل التّعبير (الكلام) فيربطها بالفعل والظّروف، ويعتمد في ذلك على طرح (Bar hillel) في "دراسة اللغة والمكرّس للاستعمال أو للعبارات الإشاريّة *indexical expression* أي الكلمات والجمل التي لا يمكن تحديد مرجعيّتها دون معرفة سياق الاستعمال"²⁷. وحتى نفهم هذا الطّرح

بأكثر دقة نتوقف على تحديد المرجعية التي ترتبط أساسا بمفهوم العادة (Habitude) فكما يشير الاستعمال إلى معنى الاستخدام فإنه يشير كذلك إلى العادة أو الانتظام، بمعنى أن يتكرر الشيء ويصبح في الأخير عملية تواضع (اتفاق على استعمال ما)، ولهذه العادة مغزى على المستوى اللساني والمستوى المعرفي (الإدراكي) أيضا. ف "أما على المستوى اللساني فيصبح الاستعمال عاملا مبدعا لمجموعة من التضامات (الارتباطات) المعجمية والتراكيبية تنتمي إليها دون شك الوحدات الجمليّة التقليديّة والمعجميّة المتعدّدة وكذلك المتلازمات، لكنه ينبغي أيضا أن نضمّ إليها وحدات أخرى على غرار الترسيمات الجمليّة والصيغ المعجميّة النحويّة" ²⁸ أما على المستوى المعرفي cognitif "فالتواتر (fréquence) يكشف النحو الكامن أو المضمّر (grammaire intériorisée) في أذهان المتكلمين ذلك أن تواتر وحدة ما يشجع على تخزينها (حفظها) في الذهن، أي غرسها ترسيخها معرفيا (إدراكيا)" ²⁹ وبمقابل الاستعمال بما هو عادة نجد معنى ثانياً يخصّ الاستعمال بما هو استخدام وهو "معنى لا يعطيه حقه من الاهتمام أحيانا أنصار لسانيات الاستعمال أنفسهم ويمثّله خصوصا في التقليد اللفظي الفرنسي (بنفنيست ديكر) وليس السبب هو العبارة الشهيرة لبنتفيس (Nihel est in lingua quod) (non prius fuerit in oratione) وهي بمثابة خلاصة لفلسفة لسانيات التواصل بل يوجد عامل آخر لا بد من مراعاته وهو عدم التمييز بين الدلالة (sémantique) والتداوليّة (pragmatique) عند التلّفظيين (Enonciativistes) وهو ما يسمّح بتحليل الأشكال اللغويّة بوصفها مرتبطة ذاتيا ومباشرة مع مواقف تواصلية أو مع لعبة كلاميّة" ³⁰ وهذا الجانب يعدّ أساسا في لسانيات الاستعمال وهو ما يوافق مفهوم الاستعمال -حدث عند لانغاكير (langaker) وهكذا يصبح الشّكل اللّساني محتفظا بالظروف الخاصّة والفعليّة التي التّبتت به حين تمّ التّلفظ به.

(4) الاستعمال والمعيّار: يعرّف المعيار اللساني norme linguistique بأنه "الاستعمال الشائع والسائد والمهيمن. وهو المعيار الموضوعي (غير ذاتي)، أو هو الاستعمال بالمعنى الذي وضّحه يلمسلاف (Hyelmslev) ³¹، وقد حدّد اللسان

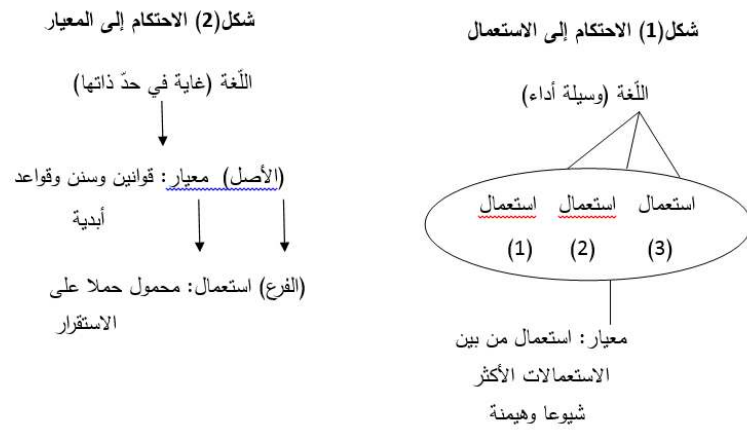
بوصفه شكلاً خاصاً (الخطاطة) وبوصفه شكلاً مادياً (المعيار)، وبوصفه جماعاً من العادات (الاستعمال). إنّ الخطاطة توازي اللسان عند سوسير، وتُعني جماعاً من العناصر المحددة بمعزل عن تحقيقها المعجمي وتجليها المادي في شكل كلام منطوق³² ثم المعيار الذي هو بمنزلة شكل مادي "يعرف بتحقيقه الاجتماعي، لكن في منأى عن تفاصيل هذا التحقق"³³. ثم أخيراً الاستعمال الذي يماثل الكلام عند سوسير، "يفيد مجموع العادات اللغوية التي تتبناها جماعات لغوية معينة"³⁴.

ويقوم المعيار مقام أنموذج لاستعمال اللغة. وحسب كوساريو أوجينيو (Eugenio Coseriu) في كتابه (Elconcapta de norma en linguistica, éd El colegio Mexico) (1976) يكون المعيار اختيار استعمال من بين استعمالات متعدّدة، ويمكن أن تتمثل ذلك في هذا الشكل³⁵.



إنّ المعيار حسب كوساريو يمثل استعمالاً (إحصائياً) شائعاً ومهيماً، وقد وضعنا إحصائياً بين قوسين لنؤكد أن ذلك يعني النسبية ويمكن أن يتحول إلى استعمال آخر وهكذا، لكن شريطة أن يخضع هذا الاستعمال المختار من بين استعمالات متعدّدة للشيوخ والانتشار وتتعلق النسبية بالهيمنة والانتشار. أمّا الاستعمال كما يعرفه كوساريو فهو الاستعمال الدّائمي للقواعد على اعتبار أنّ اللغة هي مجموعة من العلامات والرموز والقواعد والقوانين التي تنظم العلاقات بين تلك العلامات والرموز وتُسيّرهما وتحفظ انتظامها. إنّ الحديث في حد اللغة بين المعيار والاستعمال يضعنا

أمام تيارين: تيار يحتكم إلى المعيار وآخر يحتكم إلى الاستعمال ويمكن أن نختزل ما سبق ذكره في هذين الشكلين:



وضمن هذا التّضارب بين التّيارين يطرح المسدي تساؤلاً جاداً وطريفاً في الآن ذاته هو "كيف السبيل إلى أن نتفاهم بواسطة اللغة لو لم يستقر أمرها على معيار يرضخ له الاستعمال؟ فإن جعلنا الاستعمال قيماً على المعيار أفلا ينتقي مبدأ الانتظام المطرد داخل جهاز اللغة؟"³⁶ ونحن سنطرحه بطريقة مغايرة، فنقول: كيف السبيل إلى أن نتفاهم بواسطة لغة استقر أمرها على معيار يرضخ له الاستعمال؟ ألا يضغط المعيار بنقله على حركة التّغيير في اللغة فتتوقف اللغة عن كلّ تبدّل ويصبح الاستعمال بين ضوابط المعيار وقواعده؟ إنّ اللغة أصبحت تنتزّل في إطارها الأدائي الذي هو حوضها الحيوي، وهي لا تتوقف عن التّغيير والتّبدّل إلّا إذا انقطعت عن الاستعمال وإذا كان الأمر كذلك فإن اللغة تعدّ ميّنة تُدرّس بوصفها حقائق تاريخية وبوصفها قطعة أثرية. وعلى هذا الأساس فقد أبرزت اللسانيات تعريفاً للغة من خلال وظيفتها التي هي الإبلاغ ف"اللغة تعرّف كلياً بالغاية التي تحقق بواسطتها، وبهذا الاعتبار ينتقي كل تصوّر للغة أو أي إدراك لها خارج سياق ترابط يعقد بين طرفين يتحاوران بالكلام ويتفاعلان فيه"³⁷ وهكذا "لم يعد ممكناً أن نبحث عن علّة وجود اللغة أم شرعية بقائها في غير الحدث التعبيري، فالكلام -من حيث هو الإنجاز الفعلي للغة- يُعدّ الإطار الشرعي لحياة الظاهرة الثّانية"³⁸ إنّ اللفظ في اللغة مادة أولية لا

قيمة لها إلا بدلائنها الذاتية أو بتأليفها يقول الجرجاني: " لأن الألفاظ ليست إلا سمات المعاني وأوضاعا قد وضعت لتدل عليها، فليست لها قيمة من غير تأليف"³⁹.

القيمة المزدوجة لكلمة معيار: للمعيار معنيان قياسي (Normal) ومعيارى (Normatif)* ويرجع المعيار القياسي إلى احترام القواعد العامة لاستعمال اللغة بهدف ضمان فهم الشفرة اللسانية، وهو ما يسمّى بالمعيار الموضوعي. ويتمحور هذا النوع على ما هو قياسي، ويرتبط بمراعاة الوقائع والأفعال التي تُسوِّغ وظيفة اللغة. كما يعمل على تثبيت القواعد التي تضمن الفهم ونقد الاستخدامات النوعية. اكتب المعادلة هنا إنه النحو الوصفي، الذي يصف المفردات اللغوية في ذاتها دون البحث عن الصواب والخطأ في الاستعمال. أمّا المعيارى فيرجع إلى الاستعمال الصائب (le bon Usage)، ويعمل على تبيين شكل لسانی إلى درجة الضرر بشكل على حساب شكل لسانی آخر *valoriser une forme linguistique ou détriment d'une autre*. وهو ما يسمّى بالمعيار الذاتي، ويتمحور حول ما هو معيارى، ويرتبط بنظام قيمى (un système de valeurs)، ويسعى إلى ترسيخ الاستعمال الصائب (le bon usage) كما يعمل على نقد الاستخدامات النوعية إنه النحو التقني الذي يكشف الأساليب والتراكيب اللغوية السليمة من جميع الأخطاء على اختلافها (نحوية، لغوية إملائية صرفية...) من أجل تصحيحها وإبداء الرأي فيها. إن المعيارية (normalisation) هي فعل تثبيت معيار لغوي من خلال تبيين تنوع اللغة أو واقعة لغوية⁴⁰. وما يمكن أن نستنتجه مما سبق أنّ المعيار هو في أصله وليد الاستعمال وهو ما تقره اللسانيات التي تؤكد أحقية الاستعمال في مراجعة المعيار، إلا أنّ علم النحو يضيق على الاستعمال أنفاسه باعتباره القانون أو القاعدة أو السنن. ومدار العلاقة بين المعيار والاستعمال كما حدّدها العرف في الفكر اللغوي القديم هو أنّ المعيار سيّد الاستعمال: "لّه عليه حقّ الطاعة، فإنّ لم يمتثل فله عليه حقّ الرّجس: فالاستعمال تابع والمعيار متبوع. والمعيار مُستقرّ والاستعمال محمول حملا على الاستقرار فإن انجذب على العدول عدّ ذلك انحرافا يأذن بفساد اللغة"⁴¹.

(5) شروط الاستعمال: تحليل سياقات الاستعمال إلى السمات التي تحدد فعل الكلام أو ممارسة اللغة بوصفها المفعول أو النتيجة، ويفترض فعل الاستعمال المسائل الآتية:

(1" امتلاك اللغة من طرف المُخاطَب الذي يَتملُّكها. بمعنى أنَّ المتكلم يمتلك اللغة.
(3 ترسيخ المخاطب (واقعيًا كان أو خياليًا) أي إنشاء عقد علاقات تفاعل أو محادثة.

(4 إنشاء الحاضر عبر أدائية (الأنا) المتكلم وتنظيم الزمانية (يؤسس الحاضر ما قبل وما بعد) بِحُكم أنَّ الحاضر هو بِشكل خاص مصدر الزمن ووجود الآن كحضور في العالم⁴². ويمكن أن نفهم الشرطين الأول والثاني بأن يكون في اللفظ صلاحية الدلالة على المعنى لأن الاستعمال هو إفهام المعنى باللفظ لا اللفظ بالمعنى، ونعود في إيضاحنا لصلاحية الدلالة على المعنى إلى مباحث الدليل اللفظي حيث وضَّح أنَّ (صلاحية الدلالة) تكون على ثلاثة أضرب: "

- أن تكون صلاحية الدلالة على المعنى حاصلة بالوضع بصورة مباشرة كما في دلالة اللفظ على المعنى الحقيقي؛

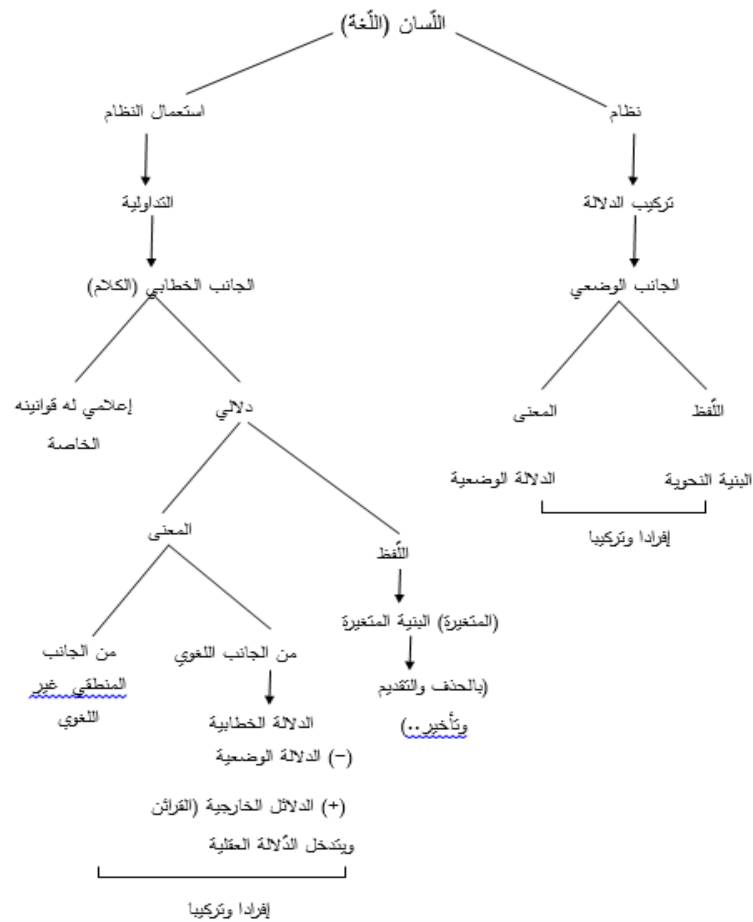
- أن تكون صلاحية الدلالة على المعنى خاصة بالوضع بصورة غير مباشرة كما في دلالة اللفظ على المعنى المجازي؛

- أن تكون صلاحية الدلالة على المعنى حاصلة بالمناسبة الذاتية كما في دلالة شخص اللفظ على نوعه⁴³. أمَّا الشرط الثالث الذي يقوم على ضرورة إنشاء عقد علائقي، بما يحمله هذا العقد من ترمزية فالمخاطبُ (المستعملُ) عندما يستعمل الموضوع فإنه يعدّله بمجرد استعماله له، لأنّه يقوم بأقلمته في سياقه الخاص، أو يزيحه من دلالته العامة. فالانتقال من الكلّي الذي يمثله الموضوع (المتواضع عليه) نحو الجزئي الذي يمثله الحيز الذاتي الفردي للأنا المخاطبة يتم بالاستعمال. صحيح أن الفاعل من خلال هذا الكلام قد يحتفظ بما هو متواضع عليه لكنّه يستعمله لغايات أخرى غير ما أريد له في البدء، فالمعنى السائد هو ليس المعنى الموضوع والمفروض على الكلمة من خلال الوضع والواضع وإنّما معناها هو طريقة استعمالها في اللغة.

ومن ثم فإنّ علاقة اللفظ بالمعنى في مجال الاستعمال اللغوي للألفاظ لها جانبان يرتبطان بالسّامع والمتكلم أما الواضع فهو خارج المجال الاستعمالي (عُد إلى شكل العملية التّخاطبيّة)

• الجانب الأوّل: وهو جانب مرتبط بالسّامع ويعبّر عن هذه العلاقة بالدّلالة لأنّ محمل علاقة اللفظ بالمعنى عند السّامع أن تصوّر أحدهما بموجب الانتقال إلى تصوّر آخر؛

• الجانب الثّاني: وهو جانب مرتبط بالمتكلم، ويعبّر عن هذه العلاقة بالاستعمال بمعنى أن المتكلم يستعمل اللفظ في المعنى ويتخذ أداة للإفهام، ونختزل كل ما قدّم في هذه التّرسّيمة التي تحدّد اللّغة بوصفها نظاما تتعلّق بالجانب الوضعي وبوصفها استعمالا لهذا النظام ترتبط بالجانب الخطابي.



خاتمة: وما يمكن أن نخلص إليه من خلال الوضع أو الاستعمال.

(1) وقفنا في عرضنا هذا على ثلاث جهات متقابلة لكنّها قد تكون مختلفة بالاعتبار ومتفقة بالذات فإذا كان الاستعمال يصب في مجرى الوضع وكان الحمل يوافق الوضع فإنّ الاستعمال يقوم على الوضع ولكنه يتجاوزه في سياق الاستعمال وضروراته فما ينتمي إلى الوضع هو المفردات المعجمية والقواعد التركيبية (الاستعمال بما هو عادة) أمّا ما ينتمي إلى الاستعمال فهو اختيار المتكلم للألفاظ والقواعد وطرق ربطها ومناسبتها للمقام التخاطبي.

(2) يقوم الاستعمال ليؤدي غرض المتكلم، لا ليؤدي غرض الواقع، فهو مكتنف لقصد المتكلم من الكلام الذي يفتقده الوضع المجرد. هذا القصد الذي قد يحدث زحزحة في معنى الوضع ولكن ذلك مرهون بنصب قرينة على ذلك (السياق).

(3) تقتصر العملية التخاطبية على المعنى المقامي الذي هو عمدة التفسير، وقيمة القول لا تكون إلا خارج العالم الثاني أي بالنظر إلى البعد العملي للقول وذلك يجعل الفعل اللغوي حدثاً في العالم.

وفي هذا الصدد يبدو أنّ الكلمات ليس لها معنى وإنما تكون لها وتكتسبها في سياق استعمالها، ويبدو أن المعنى ليس في الكلمة بل في علاقاتها. هي إذا لا تقدم لنا في حدود حروفها معنى وإنما تحرك سياقها وعلاقاتها أصداء لاحتمالات ما، أو تدفعنا في أفق اكتشاف معنى ما.

(4) الاستعمال هو الذي يقحم المفهوم في شبكة تصوّرية جديدة تُكسبه حُلّة نظرية جديدة وهو معنى طرحه ميشال دوسارتو في كتابه منطق الممارسات وذكاء الاستعمالات.

(5) المعنى هو الاستعمال (نظرية فتجنشتين) فاستعمال مفهوم يُحدّد معناه، وبذلك يؤدي اختلاف استعمال المفاهيم والعبارات إلى اختلاف معانيها، ومن هذا المنطلق بنى الفيلسوف غريس نظريته في المعنى التي تقول أنّ معنى أي عبارة يتحدد من خلال قصد القائل في إرسال فكرة ما إلى المتلقين كما يتحدد بفضل قصده أن يتم فهم فكرته كما قصد منها.

في تحديدنا للاستعمال نقول: أولاً أننا ندرس البنية اللغوية ليس في ذاتها وإنما ندرسها عند استعمالها في مقام معين وسياق معين، فالاستعمال من خلال ما ذكر يعني الاستثمار «investissement» أي تسخير العلامة اللفظية أو غير اللفظية لتوليد المعنى وعليه فإن اللغة هي الأداة التي بها يتم التواصل بين أطراف العملية التخاطبية، فهي مادة خام يستثمرها المتخاطبون، وبها يتم التفكير والتبادل والتفاهم ومنفعتها تعود على جميع مجالات الاستثمار في الحياة، وتحقق أرباحاً معنوية. إذاً الاستعمال بما هو استثمار يرتبط بدراسة البنية اللغوية باعتبارها كلاماً محدداً صادراً عن متكلم محدد وموجهاً إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصل محدد لتحقيق غرض تواصل محدد.

الهوامش:

- ¹ - ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس: تح: إبراهيم التريزي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 2000، ط1، ج30/ ص 60، 61.
- ² - dictionnaire français. la rousse
- ³ - هيثم هلال، معجم مصطلح الأصول، دار الجيل، بيروت، 2003، ط1، ص356.
- ⁴ - الجرجاني، التعريفات، تح مصطفى أبو يعقوب، مؤسسة الحسيني، الدار البيضاء المغرب، 2006، ط1، ص140.
- ⁵ - هيثم هلال، معجم مصطلح الأصول، ص 357.
- ⁶ - المرجع نفسه، ص 357.
- ⁷ - المرجع نفسه، ص 357.
- ⁸ - المرجع نفسه، ص 357.
- ⁹ - المرجع نفسه، ص 357.
- ¹⁰ - المرجع نفسه، ص 357.
- ¹¹ - المرجع نفسه، ص 358.
- ¹² - محمد يونس علي، علم التخاطب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2006، ط1، ص44.
- ¹³ - المرجع نفسه، ص44.
- ¹⁴ - المرجع نفسه، ص44.
- ¹⁵ - المرجع نفسه، ص60.
- ¹⁶ - المرجع نفسه، ص 62.
- ¹⁷ - المرجع نفسه، ص62.

- 18 - المرجع نفسه، ص 62.
- 19 - المرجع نفسه، ص 33
- 20 - هيثم هلال، معجم مصطلح الأصول، ص25.
- 21 - المرجع نفسه، ص26.
- 22 - الجرجاني، التعريفات، ص17.
- 23 - المرجع نفسه، ص 17.
- * - ركز في فهمه للممارسات اليومية العادية على المبحث التداولي (الاستعمالات) مستفيدا بذلك من ذخائر اللسانيات (بتفيسيت/ بالمسليف) كما عمل على تطويع مصطلح الاستعمال ليتماشى مع مفهومه للممارسات اليومية.
- 24 - لوي كيري: العلوم الاجتماعية أما عقلانية الممارسات اليومية، أسئلة إلى ميشال دوساتو في علم الاجتماع، الممارسة السياسية مركز البحث في الحركات الاجتماعية باريس منشورات ستراوس، 1981، ص84-85.
- 25 - ميشال دوساتو ، ابتكار الحياة اليومية : فنون الأداء العملي ، تر: محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2011، ط1، ص88.
- 26 - المرجع نفسه، ص 88
- 27 - ريتشارد موتساغ، التداولية، في ريموند كليبينسكي (إشراف) الفلسفة المعاصرة فلورنسا إيطاليا الجديدة، ج1، 1968، ص102، 122، نقلا عن دوسارتو: ابتكار الحياة اليومية ص89.
- 28 Dominique Le gallois, Jaques François Marie -La linguistique fondée sur l'usage –parcours critique ; travaux de l'linguistique n° :62,2011,p10.
- 29 - ibid p10.
- 30 - ibid p09
- 31 -La norme linguistique:Textes colligés et présentés par Edith Bedard et Jaques aurais, éd la direction générale des publications gouvernementales du ministère des communication Quebec-canada 1983 P
- 32 - L.Hgmslev:Langue parole in essais l'linguistique,minuit paris1971,p79.
- 33 -ibid p83.
- 34 - ibid p90.
- 35 - définition des notions de normes de variété et d'usage www.eila.univ-paris-aliderot.fr/linguistique/
- 36 - عبد السلام المسدي: اللسانيات أسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، 986، طص 38
- 37 - المرجع نفسه، ص 36.
- 38 - المرجع نفسه، ص 36.

- ³⁹ - أحمد مطلوب: عبد القادر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت 1973 ط1، ص98.
- * عبد السلام المسندي، اللسانيات أسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر/تونس، 1986 د ط، ص37.
- ⁴⁰ - ينظر: definition des notions de norms de variété et d'usage
www.eila.univ-p)aris-aliderot.fr/linguistique/.
- ⁴¹ - عبد السلام المسندي، مرجع سابق، ص37.
- ⁴² - دوساتو، ابتكار الحياة اليومية، ص89.
- ⁴³ - السيد محمود الهاشمي الشاهوردي، بحث في علم الأصول - مباحث الدليل اللفظي-المجمع العلمي للشهيد الصدر-إيران-ج1، 1405هـ، ص.